عرض مجلة

أدوماتو، العدد التاسع [ذو الحجة ١٤٢٤هـ - يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤م].

رئيس التحرير: أ. د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري؛ عضوا هيئة التحرير: د. خليل بن إبراهيم المعيقل ود. عبدالله بن محمد الشارخ.

الناشر: مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، المملكة العربية السعودية.

عدد الصفحات: القسم العربي - ١٠٩ص والقسم الإنجليزي - ٣٨ص.

صدر مع بداية عام ٢٠٠٤ العدد التاسع (الممتاز) من مجلة **أدوماتو**، وهي مجلة نصف سنوية محكّمة تعني بآثار الوطن العربي. ورغم عمرها القصير نسبياً، حيث دخلت المجلة بهذا العدد سنتها الخامسة، إلا أنها أثبتت وجودها كمرجع هام خاصة في المكتبة العربية التي تفتقر لمثل هذا التوجه نحو عرض الأبحاث الآثارية المعنية بأرجاء مختلفة من الوطن العربي. وبالإمكان استعراض محتويات أعداد أدوماتو منذ بداية صدورها في مطلع عام ٢٠٠٠م على موقع المجلة الإلكتروني www.adumatu.com. ويحوي هذا الموقع معلومات عن المجلة وعن الناشر مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، التي أنشأها الأمير عبد الرحمن السديري أمير منطقة الجوف في المملكة العربية السعودية، بهدف حفظ التراث الأدبي والإرث الحضاري ودعم النهضة العلمية في منطقة الجوف. ومن هنا أتت "أدوماتو" وهو الاسم القديم لدومة الجندل إحدى أهم المواقع الأثرية في منطقة الجوف، والتي كانت تمثل معبراً مهماً للحضارات، ويأمل العاملون على المجلة أن تصبح معبراً مهماً للأفكار والآراء في مجال الآثار على مستوى العالم العربي.

أتى هذا العدد من أدوماتو بطباعة أنيقة والعديد من الصور الملونة، وزين غلاف المجلة العربي صورة تمثال نصفي نبطي من خربة الذريح بجنوب الأردن يرمز لبرج الجوزاء، أما الغلاف الإنجليزي فزينته صورة الظاهرة (ثم-أ-١٢) من موقع الثمامة في المملكة العربية السعودية.

تتصدر القسم العربي من العدد افتتاحية رئيس هيئة التحرير التي عودنا عليها أستاذنا الكبير الدكتور عبد الرحمن الأنصاري في أدوماتو، والتي ابتدأها بالعرفان لمن سقط من "النمط المثالي للباحث والأكاديمي، الذي وهب نفسه للعلم ومن أجله سعى واجتهد وبذل"، وخص بالذكر أعلاماً لن ننساهم هم

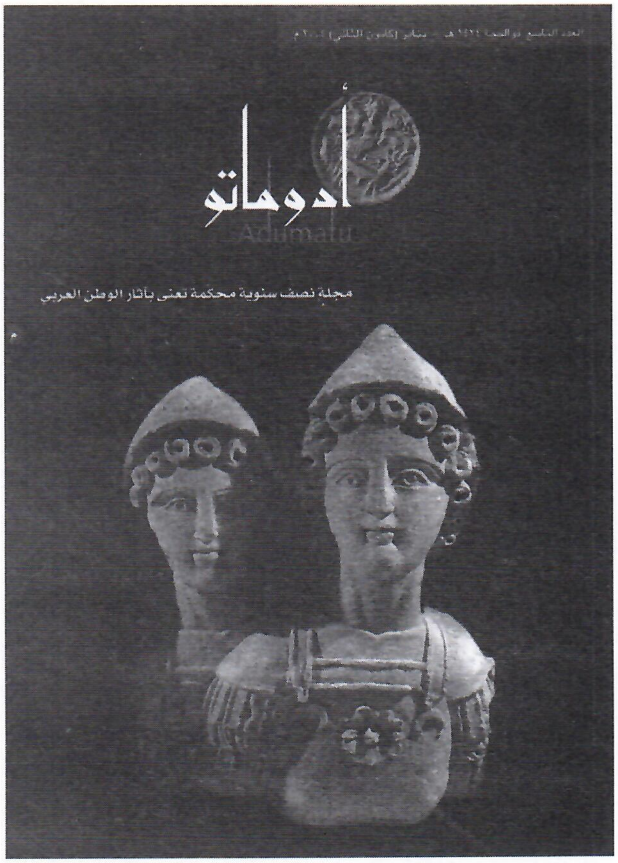

حمد الجاسر، وإحسان عباس، وصالح العلي. أما الجزء الثاني من الافتتاحية فتحدث فيه أستاذنا الكبير عن موضوعه المفضّل وهو الكتابات والرسوم الصخرية في الجزيرة العربية، وعن زمرة من الباحثين العرب الذين أثروا هذا الموضوع الهام بدراساتهم وأعمالهم الميدانية. وأختتم الأستاذ الدكتور الأنصاري افتتاحيته بدعوة المهتمين بالنقوش الإسلامية في الجزيرة العربية إلى دراسة الحروف وأشكالها لكل عصر، ومحاولة الوصول إلى ثبت بالحروف مقسمة حسب العصور التاريخية تغنينا عن مصطلح "القرون الثلاثة الأولى" المهيمن على الباحثين في الآثار الإسلامية.

احتوى الجزء العربي من عدد أدوماتو التاسع على أربع مقالات علمية استهلت بملخصات باللغتين العربية والإنجليزية حسب قواعد النشر، أولها بعنوان **"دراسة آثارية لموقع الثمامة:**

النتائج الأولية" لعبدالله بن محمد الشارخ من قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود، عرض فيها الباحث النتائج الأولية للمسح الميداني الذي قام به فريق من الجامعة لمنطقة الثمامة في وسط المملكة العربية السعودية، بدعم من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. إبتدأ الباحث مقالته بمقدمة ركزت على أسباب محدودية الدراسات الأثرية في الجزيرة العربية وضرورة معالجة الوضع القائم، ثم أسباب اختيار منطقة الدراسة التي أثبت البحث الأولي غناها بالمواقع الأثرية. ثم انتقل الباحث إلى الدراسات السابقة المتعلقة بالعمل الأثري في المملكة العربية السعودية بصفة عامة، ودراسات ما قبل التاريخ بصفة خاصة، والدراسة التي قام بها فريق وكالة الآثار لموقع الثمامة في عام ١٤٠٣هـ. بعد ذلك قام الباحث بتعريف منطقة البحث جغرافياً وجيولوجياً، حيث أن الظواهر الطبوغرافية من اجتماع وجود سلسلة جبلية وهضبة سفلية ومنطقة سهلية في الثمامة قد أثرت على اختيار مواضع المواقع الأثرية إضافة إلى حكمها على تقسيم العمل الآثاري وانتقاء العينات.

بعد ذلك قدم الباحث المسح الاستكشافي لمنطقة الدراسة الذي بدء بالمواقع المسجلة سابقاً وبالاعتماد على الخرائط الطبوغرافية، حيث تبين للفريق وعورة المنطقة التي تتركز فيها معظم الظواهر الأثرية. تبع ذلك المسح الشامل الذي فرضت طبوغرافية المنطقة الوعرة أن يقسم حسب تضاريسها عوضاً عن استخدام المربعات الشبكية أو المسارات المتوازية المتعارف عليها في عمليات المسح الأثري، وشرح الباحث الاستراتيجية التي اتبعها الفريق في عملية المسح وتعريفه لـ"الموقع الأثري" وتقدير أبعاده، وعمليات التوثيق التي اتبعها الفريق خلال المسح الشامل، إذ قام بتحديد مواقع الظواهر الأثرية التي بلغت المئات باستخدام جهازي GPS أحدهما محمول يدوياً والآخر ثابت، وشرح الباحث أيضاً نظام تسمية المواقع الذي أتبع أثناء المسح وملخص المعلومات المسجلة في استمارات المسح، كما قام الفريق بتوثيق المواقع بالصور وجمع الملتقطات السطحية من مواقع الأدوات الحجرية.

تبع المسح الأثري اختيار المواقع للاختبار، حيث اختار الفريق موقعين للمنشآت الحجرية وثلاثة مواقع للأدوات الحجرية في السلسلة الجبلية، وموقع للمنشآت الحجرية في الهضبة السفلية، وموقع للأدوات الحجرية متضمناً لمواقد النار في المنطقة السهلية وشرح الباحث بشكل مختصر استراتيجية الاختبار في مواقع الأدوات الحجرية ثم المنشآت الحجرية، ومن ثم قدم وصفاً للتنقيب في مواقع المنشآت الحجرية الثلاثة معززاً بالصور وخرائط تبين تلك المواقع. بعد ذلك انتقل للحديث عن مواقع الأدوات الحجرية (التي بلغ عددها نحو ١٥ موقعاً) وتوثيقها وتحدث بالتفصيل عن المواقع الأربعة التي اختيرت للاختبار ومناطق التجميع فيها معززاً تقريره بصور المواقع والأدوات الحجرية وخريطة لانتشار الظواهر الأثرية وعينات الأدوات الحجرية في المنطقة السهلية حيث تم أيضاً التنقيب عن موقد نار جمعت منه عينة للتأريخ الكربوني (كربون ١٤).

اختتم الباحث مقالته بعرض لعدد من النتائج الأولية المتعلقة بالمنشآت الحجرية في موقع الثمامة الأثري، والتي تدل كثافتها على استغلال الجماعات البشرية للظروف البيئية والموارد الطبيعية للمنطقة، كما يشير تنوع أنماطها إلى التنوع الوظيفي في استخدامها وأثبت التنقيب استخدام الظاهرة (ثم-أ-١٢) التي احتلت صورتها الغلاف الإنجليزي للعدد كمكان للدفن. وقام الباحث بتقسيم المنشآت الحجرية إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي الدوائر والأكوام والمباني الحجرية ويتبعها عدد من التقسيمات الفرعية، وأرجع وجود غالبية المنشآت الحجرية على الأجزاء المرتفعة من منطقة الدراسة إلى تفضيل الجماعات البشرية للأماكن المرتفعة والظروف البيئية المتمثلة في كثرة هطول الأمطار وجريان مياه الأودية طوال أكثر شهور السنة، وأشار إلى أن الكثير من نتائج الدراسة ستعتمد بشكل رئيس على نتائج العينات العضوية التي أرسلت لأحد معامل الكربون ١٤ خارج المملكة العربية السعودية، كما أن غياب البقايا الفخارية بشكل خاص (فيما عدا بعض الكسر الحديثة على السطح) يشير إلى خلو منطقة الثمامة من دلائل صناعة أو استخدام المواد الفخارية القديمة.

أما بالنسبة للأدوات الحجرية، فيشير التحليل المبدئي إلى وجود نوعين من التصنيع، يتمثل الأول في الأسلوب الذي يعتمد إنتاج النصال، والثاني في إنتاج الشظايا أو الرقائق، ويدل وجود الأسلوبين معاً في نفس الأماكن على أنهما قد استخدمتا معاً، كما عكس أحد المواقع المختبرة في البحث ظاهرة ورش التصنيع. وحيث أنه لا يوجد دليل على صناعة الفخار في المنطقة، فقد رجح الباحث تأريخها إلى فترة العصر الحجري القديم المتأخر. أو نهايته مع عدم استبعاد عودة هذه المجموعات الحجرية إلى العصر الحجري الحديث المبكر السابق للفخار، تاركاً التحديد الزمني القطعي لمختبرات التأريخ العلمي. وأشار الباحث أيضاً إلى عدم العثور على أي مواد تدل على أن الجماعات التي عاشت في المنطقة عرفت الزراعة أو استئناس الحيوان.

المقالة العربية الثانية في هذا العدد من أدوماتو أتت بعنوان **"البحوث والدراسات الآثارية عن حضارة نبتة الكوشية وارتباطها بتطور علم الآثار: دراسة تقويمية" لجمال جعفر عباس** من قسم الآثار في جامعة دنقلا بالسودان، وتناولت تقويماً عاماً للنظريات حول حضارة نبتة الكوشية التي ازدهرت في شمالي السودان بين حوالي ٨٥٠ إلى ٣٠٠ق.م. استهل الباحث مقالته بعرض مقتضب لتاريخ علم الآثار وتطوره في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين انتقل بعده إلى الموقع الجغرافي لحضارة نبتة السودانية، مصوراً حديثه بخريطة تبين أهم مواقع هذه الحضارة على ضفاف نهر النيل وهي نوري وجبل البركل وصنم والكرو، ومفسراً اعتماد الدراسات والبحوث الآثارية في المقام الأول على الأوصاف التي كتبها الرحالة القدماء من إغريق ورومان، حيث اختلفت الآراء حول ماهية نبتة وموقعها الجغرافي، فهل هي مدينة أم إقليم وبعد أن عرض الباحث الآراء المختلفة حول الموضوع، رأى أن يتمسك بأن "نبتة هي حضارة وليست مدينة أو إقليماً" حيث أن هنالك

مواقع أثرية تؤرخ للفترة النبتية خارج حدود الإقليم المتعارف عليه.

بعد التعريف الجغرافي والحضاري، انتقل الباحث إلى كتابات الرحالة حول الحضارة الكوشية بشكل عام، بدءاً بالإغريق الذين عرفوا السودان باسم (أثيوبيا)، ذاكراً أهم الكتاب الكلاسيكيين أمثال هيرودوت وديودوروس الصقلي واسترابو ثم بليني واسبلينكا، ثم الرحالة في القرن التاسع عشر الذين ذكروا وسجلوا معلومات هامة عن آثار السودان. أما بالنسبة للبحوث والدراسات المنظمة فقام الباحث بعرض لأهمها بدءاً بعام ١٨٩٨ والأعوام التالية التي شكلت نقطة تحول كبيرة في تاريخ البحث الآثاري في السودان، وحتى مؤلفات أدامز الشهيرة عام ١٩٧٧ .

بعد العرض، أتى تحليل بعض البحوث والدراسات الآثارية المتعلقة بالسودان، وارتباطها بتطور علم الآثار، حيث جرى الكثير منها بمنهجية دراسة الأعمال الإنقاذية مما أدى إلى الحصول على نتائج غير مؤكدة، وفي القرنين التاسع عشر وبدايات العشرين انشغل الدارسون بالبحث عن امتداد الإمبراطورية المصرية، وسادت النظرية العرقية الدونية لأصحاب الحضارة الكوشية وانشغل الباحثون "باكتشاف الإمبراطورية البيضاء في إفريقيا". وطرح كاتب المقالة مشكلة تباين الإستراتيجيات والأهداف في علم الآثار وعدم وجود اتفاق حول الأولويات والمناهج للبحث الآثاري في السودان، وخص بالذكر فشل جميع المناهج المتبعة في لفت اهتمام المجتمع السوداني لأهمية الآثار (وهي في الحقيقة مشكلة تتجاوز حدود السودان إلى معظم عالمنا العربي). ثم عرض الباحث عدداً من الأفكار والمفاهيم حول التاريخ النوبي القديم، واضعاً الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كفاصل لاتجاهات جديدة نتجت عن توظيف بعض العلوم الأخرى في خدمة علم الآثار بحيث نقلته من المنهج الوصفي إلى نظام دراسي تحليلي، مما نتج عنه ظهور نظريات ومناهج جديدة تتضح سماتها في دراسات اعتمدت الأدلة الآثارية والأنثروبولوجية كبرهان على استمرارية الثقافة السودانية وخصّ حديثة بأمثلة عن الدراسات المتعلقة بنبتة، ونبّه إلى أن هنالك بعض المواقع التي أرخت إلى الفترة النبتية لم تنل بعد ما تستحقه من أعمال التنقيب.

وفي الخلاصة، ذكر الباحث أن البحوث والدراسات الآثارية التي أجريت في مواقع حضارة نبتة تمخضت عنها نظريات وآراء متعددة تناولت الأصل والسياسة والدين، وقام بتلخيص تقويمه لأهم الأعمال التي ذكرها في مقالته بدءاً بأعمال رايزنر الذي يعد أول من أجرى حفريات في مواقع الحضارة النبتية في العشرينات من القرن العشرين، وإن كان قد كرس بحثه على حفر أكبر عدد من المواقع في أقل وقت ممكن وأقتصر عمله على المواقع البارزة واهتمامه بالطبقة الحاكمة دون غيرها. أتى رايزنر إلى السودان حاملاً معه النظرية العرقية البحتة خدمة للسياسة الاستعمارية في إفريقيا، إلا أن الباحث استماح له عذراً كون تلك النظرية متمشية مع "طبيعة علم الآثار في ذلك الوقت"، وأعاد استراتيجيته في العمل إلى النظرة السائدة عندئذ، كما أرجع إليه وضع أسس دراسات الحضارة السودانية. وانتقل الباحث إلى شرح التطور الذي ظهر في أبحاث أنطوني أركل الذي اتبع استراتيجيات رايزنر لكنه تجرد من النظريات العرقية والانتشارية بسبب اضمحلالها عندئذ. ومع عام ١٩٥٠م، توالت أبحاث وكتابات العلماء الذين "يحملون طرق ومناهج بحثية جديدة ... محاولين معالجة التاريخ الثقافي السوداني".

واختتم الباحث مقالته بتلخيص ما سرده من الدراسات التي ظهرت عن الحضارة الكوشية منذ الثمانينات من القرن العشرين، والتي وإن كانت في معظمها قد اعتمدت على مراجع وتقارير الحفريات الماضية، إلا أنها عالجت موضوعات كانت غائبة عن أذهان الكثيرين مما "انعكس في تطور الفهم وازدياده عن الحضارة النبتية، التي عالجتها النظريات السابقة، التي كانت تنسبها للعنصر الليبي تارة، وللعنصر المصري تارة أخرى؛ ولكن تبقى نبتة سودانية الأصل والمنشأ".

المقالة العربية الثالثة متعلقة بموقع هام في جنوبي الأردن، وهي بعنوان "**خربة الذريح: إضاءات جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم**" **لزيدون المحيسن** من كلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك **وفرانسوا فيلنوف** من مدرسة المعلمين العليا والمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا **ومولاي محمد جانيف** من جامعة باريس الأولى. استهل الباحثون مقالتهم بالحديث عن قلة المعلومات التي وصلتنا عن ديانة العرب قبل الإسلام واستفادتهم من المعلومات المستقاة من البحث الميداني في موقع خربة الذريح التي تحوي آثاراً تعود أقدمها إلى العصر الحجري الحديث وأحدثها إلى الفترة العثمانية، غير أن أهم فترات الموقع هي الفترة النبطية-الرومانية ما بين القرنين الأول والرابع للميلاد، حيث اكتشفت البعثة الأردنية-الفرنسية المشتركة العاملة في الموقع منذ عام ١٩٨٤ معبداً نبطياً هاماً ضمن قرية تحوي أبنية سكنية وصناعية أسهمت إلى حد بعيد في تحسين معرفتنا عن الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية للأنباط خارج البتراء. وقد ركزت هذه الدراسة على الجانب الديني خاصة كما برز في آثار هيكل خربة الذريح الواقع في الجهة الشمالية الغربية من الموقع. انتقل الباحثون بعد المقدمة إلى وصف الهيكل الذي تصل مساحته الكلية إلى ١٥٠م طولاً و٥٠م عرضاً ووصف المرحلتين الرئيستين التي مرّ بها المبنى ما بين القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع للميلاد (والتي تم طمس بعض معالمها خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية)، ثم انتقلوا إلى وصف أجزائه وزخارفه معززين وصفهم بالمخططات والصور، وطرحوا سؤالاً حول طبيعة الطقوس التي كانت تجري في المعبد وعلاقتها بالتماثيل النصفية والمواضيع الميثولوجية المجسدة على واجهته. وللإجابة على التساؤل طرح الباحثون معالجة الموضوع وفق مستويين: الأول يتعلق بالجزء الداخلي أي قدس الأقداس، والثاني يرتبط بواجهة المعبد "التي تحيل بمنحوتاتها وتماثيلها الآدمية النصفية إلى فضاء ديني وثقافي مختلف".

للتحدث عن قدس الأقداس وعبادة الأنصاب، عاد الباحثون لتأكيد أهمية المصطبة المربعة التي وصفوها سابقاً والبالغ

طول ضلعها ٧م وارتفاعها ١,٤م حيث كان يرتقى إليها بواسطة درجين جانبيين ضيقين استبدلا فيما بعد بسلم ثابت، وكانت تعلوها مظلة مرفوعة على أعمدة. عثر في سطح المصطبة على ثلاثة تجاويف محفورة يبدو أنها كانت توضع عليها الأنصاب (التي لم يعثر عليها بسبب إعادة استخدام المبنى خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية على الأرجح)، إلا أن الباحثين أكدوا على أن تلك الأنصاب كانت ولا بد شبيهة بتلك المعروفة من موقعي البتراء والحِجر، كما أن منصة معبد الذريح شبيهة بتلك الموجودة في عدد من المعابد النبطية مثل معبد اللات في إرم ومعابد البتراء حيث تعكس المنصة بوصفها "مجلساً للآلهة" جانباً أساسياً من الطقوس والاحتفالات الدينية. بعد ذلك قدم الباحثون نصاً للقديس إبيفانوس (٣١٥-٤٠٣م) تحدث فيه عن الطقوس الدينية لأهالي البتراء وأيدوليون وإلوسا (الخالصة)، ملقياً أضواءً هامة على استعمالات أجزاء المنصة من أماكن إيداع الأنصاب في القبوين أسفل الـ"موتاب" (الذي رجح الباحثون كونه المجلس أو العرش حيث كانت توضع أنصاب الآلهة)، إلى توقيت تنظيم الطقوس في الليل وطرق إحيائها من طواف وترانيم وولائم. أما الحفر الثلاث فقد أعاد الباحثون تصورها على أن اثنتين منها كانتا لوضع نصبين اثنين والثالثة لتلقي الدماء المسكوبة عليهما استدراكاً لاعتقادهم السابق بوجود ثلاثة أنصاب. وخلص الباحثون بعد النقاش والمقارنات إلى أن هذا الجزء الداخلي من المعبد كان مخصصاً لطقوس دينية عربية خالصة.

وبالنسبة لواجهة المعبد التي ناهز ارتفاعها ١٥م واحتوت عدة عناصر أهمها المنحوتات التي كانت تشكل الأجزاء العليا لجدار المعبد الجنوبي والتي أعيد تصورها بشكل شبه تام بعد سنوات من العمل الدؤوب، عرض الباحثون وصفاً دقيقاً لها، ثم اعترفوا بأنهم ما زالوا بعيدين عن فهم مدلولها لغرابة السياق العام للمنحوتات التي مزج فيها الفنان النبطي العناصر المحلية بأخرى "دخيلة (شرقية وفارسية بالأساس)"، وفي النهاية حددوا هدفهم بالإجابة على سؤالين، يتعلق الأول بالآلهة التي كرس لها هيكل الذريح، والثاني بتوقيت الاحتفالات السنوي. وللإجابة انتقلوا إلى معبد خربة التنور المجاور للذريح إذ توجد في المعبدين شواهد ثابتة على ارتباطهما بالنجوم والكواكب، وتمثل التماثيل النصفية على واجهة معبد الذريح الأبراج السماوية الإثنا عشر. ورجح الباحثون أن يكون المعبدان قد خصصا للزوج ذو الشرى والعزى، وأنهما كانا متكاملين بحيث تتم زيارتهما في أوقات مختلفة من العام، وبملاحظة توجه هيكل التنور نحو الغرب وهيكل الذريح نحو الشمال، رجح الباحثون أيضاً أن زيارة التنور كانت تتم خلال فترتي اعتدال السنة عند شروق الشمس أو غروبها، وأن زيارة الذريح كانت تتم في شهر شباط عندما يشكل شروق الشمس أو غروبها خطاً متعامداً مع محور المعبد.

واختتم الباحثون مقالهم بأهمية الشواهد الأثرية من هيكلي التنور والذريح، وبأن دراستها ستسهم دون شك في فهم الثنائيات أو الأضداد التي تبدو مميزة لديانة الأنباط.

المقالة العربية الرابعة في العدد هي بعنوان "**نقش غيل المنضج (المبرح) الإسلامي المؤرخ في سنة ٩٨هـ (٧١٦-٧١٧م) (محافظة ظهران الجنوب. المملكة العربية السعودية) لمحمد بن عبد الرحمن الثنيان** من قسم الآثار والمتاحف في جامعة الملك سعود. ابتدأ الباحث مقالته بتحديد موقع محافظة ظهران الجنوب ثم وصف مدينة ظهران الجنوب وأهلها، ومن ثم منطقة المنضج (المبرح) حيث اكتشف النقش موضوع الدراسة خلال دراسة ميدانية شاملة لطريق الحج اليمني الأعلى من صنعاء إلى مكة المكرمة، وأرفق الباحث جدولاً بأهم المواقع الأثرية في محافظة ظهران الجنوب والرسوم والنقوش التي عثر عليها في تلك المواقع. ثم انتقل إلى المنضج (المبرح) وغيله في المصادر العربية المبكرة، حيث ذكر بداية أن غيل البردان وغيل وادي المنضج (المبرح) هما العينان المائيتان الوحيدتان اللتان كشف عنهما في القسم السعودي من مسار طريق الحج اليمني الأعلى (المعروف في المصادر المتقدمة باسم النجدي)، وأن المبرح هو الاسم المعاصر بدلاً من مسمى المنضج كما شرح اشتقاقات هذه التسمية، إضافة إلى تسمية مصلولة التي تطلق حالياً على مسار درب الحج المرصوف بديلاً عن مسمى المنضج التاريخي الذي اختفى تماماً.

يعد أحمد بن عيسى الرداعي أقدم من ذكر غيل المنضج ومنطقة المبرح وأرفقت المقالة جدولاً بأسماء المواقع التي ذكرها الرداعي خلال رحلته لتأدية فريضة الحج في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كما ذكر المنطقة عدد من الجغرافيين العرب وضمن الباحث جدولاً يوضح أسماء بعض المحطات على مسار درب الحج وفقاً للحربي وابن خرداذبة وقدامة والهمداني والمقدسي والإدريسي، وذكر أن المنطقة شهدت في عام ١٤٢هـ/٧٦٠م صداماً عسكرياً بين الوالي العباسي على اليمن معن بن زائدة الشيباني وعمر بن زيد الغالبي.

انتقالاً إلى النقش موضوع الدراسة، أشار الباحث إلى انتشار الآثار الخطية الإسلامية على امتداد مسار طريق الحج اليمني الأعلى، إلا أن هذا النقش هو أول أثر خطي مؤرخ يكشف عنه على هذا المسار، كما تكمن أهميته أيضاً بتأريخه للقرن الأول الهجري (حيث أكتشف حتى الآن تسعة عشر نقشاً مؤرخاً لذلك القرن في الأراضي السعودية)، ولارتباطه المكاني بمحطة غيل المنضج وهي من المحطات الرئيسة على درب الحج، وتزداد أهميته بسبب تضمين صاحبه لحرفته ودقة تأريخه مما سيساعد في وضع التأطير التاريخي لمراحل استخدامات درب الحج اليمني الأعلى خاصة وأن هنالك غياباً للتدوين التاريخي الموسع لحالة الدرب واستخداماته خلال الفترات الإسلامية المختلفة.

بعد هذه المقدمة، ابتدأ الباحث بالدراسة التحليلية للنقش الذي يبلغ طوله حوالي ٥٥سم وعرضه ٤٥سم، وهو بالخط الكوفي البسيط مكون من ١٠ أسطر نقشت على حجر غرانيتي مائل للاحمرار، وطلب فيه كاتبه ثابت بن أبي تميم، وهو صانع جرار، الرحمة من الله وذلك يوم السبت ١٠ جمادي الآخرة سنة ٩٨ هجرية. وتظهر بعض السمات الكتابية في رسم وصياغة حروف كلمات النقش جانباً من التزاوج الحضاري بين

الخط العربي الإسلامي والخط النبطي، ويعتبر مكتمل اللفظ والمعنى ومقروء بالكامل وحالته جيدة باستثناء شق حديث تسبب في ضياع حرفين فقط. قام الباحث بتحليل النص كل سطر على حدة بتفصيل كبير، بما في ذلك تفسير صناعة الفخار والجرار التي استأثرت بحوالي ثلاث صفحات، استدل من خلالها على تفشي القراءة والكتابة بين أصحاب المهن اليدوية كنتيجة لنشر بني أمية لمراكز الكُتّاب في الأرياف والتجمعات السكانية النائية خلال تلك المرحلة من حكمهم. وفي نهاية المقالة أثار الباحث فرضية طريفة وهي إذا ما كان النقش عبارة عن لوحة تجارية "بمثابة شارة إعلانية قصد بها صاحبها التنويه عن مدى مهارته وتسويق بضاعته خاصة عند مستخدمي المورد المائي لغيل المنضج..." تساءل بعدها فيما إذا كانت المنطقة تمر آنذاك بمراحل اقتصادية وسياسية عصيبة لم توثق تاريخياً.

بعد المقالات تم تخصيص قسم بعنوان **"مؤتمرات وندوات علمية"** عرضت فيه عميدة محمد شعلان الندوة الدولية بمناسبة الذكرى السبعين لميلاد البروفسور والتر مولر وهي بخصوص "نقوش وآثار جنوب الجزيرة العربية"، نظمها قسم الدراسات السامية بجامعة فيلبس - ماربورج - ألمانيا بتاريخ ٢٦-٢٧ سبتمبر ٢٠٠٣. وعرضت خيرية عبد الله الأصقة "ندوة التراث العمراني الوطني في المملكة العربية السعودية" المنظمة من قبل الهيئة العليا للسياحة في مركز الملك عبد العزيز التاريخي - الرياض بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣. وعرض أحمد يوسف ذياب "الندوة الخامسة لجمعية الآثارين العرب" التي عقدت في جامعة القاهرة بين ٤-٦ أكتوبر ٢٠٠٣. وفي الأردن عرضت عميدة محمد شعلان مرة أخرى "ملتقى اليرموك الثاني لدراسة النقوش والكتابات القديمة" الذي نظمه قسم النقوش بكلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك في الفترة ٧-٩ أكتوبر ٢٠٠٣، كما عرض زيدان عبد الكافي كفافي "المؤتمر الثاني للعلوم والتكنولوجيا في الآثار والمحافظة عليها" بتنظيم من معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث - الجامعة الهاشمية - الزرقاء بتاريخ ٧-١١ ديسمبر ٢٠٠٣.

وفي نهاية القسم العربي من العدد، عرض مولاي محمد جانيف كتاب "من الإسكندر إلى زنوبيا - تاريخ بلاد الشام القديمة من القرن الرابع ق.م. إلى القرن الثالث ب.م." لمؤلفه موريس سارتر، وهو باللغة الفرنسية، كما عرض عبدالله نصيف كتاب "هندسة المياه والري عند الأنباط العرب" من تأليف زيدون المحيسن وهو من ضمن مشروع "بيت الأنباط" للتأليف والنشر.

أما القسم الإنجليزي من العدد، فقد استهل بترجمة لافتتاحية رئيس هيئة التحرير، تلتها مقالتان الأولى بعنوان **"الحضارة الأولدوانية في شبه الجزيرة العربية"** (The Oldowan in Arabia) كتبها نورمان والن وغلين فريتز Norman M. Whalen and Glen A. Fritz من جامعة تكساس ستيت في الولايات المتحدة الأميركية. في المقدمة تحدث الباحثان عن الاكتشافات المتعلقة بالأصناف البشرية القديمة في أفريقيا وآسيا خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحالي مما عزز الاهتمام بالهجرات البشرية القديمة إلى آسيا، وخاصة اكتشاف بقايا عظام بشرية مع أدوات حجرية أرخت إلى ١,٧٧ مليون عام قبل الوقت الحاضر في موقع دمانيزي في جورجيا، والتأريخ العائد إلى ١,٨ مليون عام قبل الوقت الحاضر في كهف لونغوبو في الصين، إضافة إلى إعادة تأريخ بقايا الجماجم المكتشفة في موبوكرتو وسانغيران في جزيرة جاوا إلى ١,٨١ و١,٦٦ مليون عام قبل الوقت الحاضر. إلا أن أقدم المستحثات البشرية ما زالت تلك المكتشفة في أفريقيا مما يؤكد الأصل الإفريقي للجنس البشري. بعد ذلك قدّم الباحثان الصناعة الأولدوانية حسب ملاحظات سيماو Semaw، وهي نسبة إلى مضيق أولدوفاي في تنزانيا وتعود إلى ٢,٦-١,٥ مليون عام قبل الوقت الحاضر، أي أنها تسبق الأشولية مباشرة. وبما أن هنالك بقايا بشرية تعود إلى ما قبل ١,٨ مليون عام في جنوب شرقي آسيا، فلا بد أن البشر هاجروا من أفريقيا قبل ذلك بآلاف السنين آخذين بعين الاعتبار المسافات الشاسعة والبيئات المتنوعة التي استغلوها في طريقهم. وهنالك طريقان محتملتان للخروج من أفريقيا، الأولى من أثيوبيا بمحاذاة نهر النيل وعبر سيناء إلى بلاد الشام، والثانية من مضيق أولدوفاي إلى جبوتي ثم عبر مضيق باب المندب إلى اليمن وتتفرع منها ثلاث طرق: اثنتان عبر غربي ووسط السعودية بمحاذاة سلسلة جبال البحر الأحمر (عبر نجد وتهامه)، والثالثة عبر عُمان ومضيق هرمز إلى إيران، ومن المحتمل أن كلا المضيقين كانا جسوراً برية خلال العصور الجليدية في حقبة البليستوسين والتي تسببت بانخفاض مستويات البحار، وهذه الطريق الأخيرة عبر اليمن وعُمان هي موضوع هذا البحث.

بعد المقدمة شرح الباحثان أعمال المسح والتنقيب، واختاروا ثلاثة مواقع على الطريق الجنوبية، أثنين في اليمن والثالث في عمان، كمحطات محتملة على درب الرحلة البشرية نحو الشرق حيث كان قد سبق التعرف عليهم كمواقع ما قبل الأشولية أو أولدوانية متطورة، وكان أحد المواقع وهو كهف الجوزه في حضرموت جنوبي اليمن قد تم التنقيب فيه سابقاً حيث عثر على الأدوات الأولدوانية في موقعها الأصلي تعلوها الطبقات الأشولية، بينما تم اختيار الموقعين الآخرين. الأول عبارة عن تجمع لـ١٦ موقعاً على وادي شهار في جنوبي غرب اليمن والثاني تجمع لـ٤٣ موقعاً في منطقة حقف بوسط عمان - نتيجة للمسح الأثري حيث وجدت كميات كبيرة من الأدوات على السطح. وطرح الباحثان سؤالين للدراسة، الأول هو مدى العلاقة بين اللقى السطحية وتلك المكتشفة في موقعها الأصلي، والثاني فيما إذا كانت هنالك علاقة كامنة بين الأدوات المتواجدة في هذه المواقع العربية والأدوات الأولدوانية من مضيق أولدوفاي في شرق أفريقيا. واعترف الباحثان بصعوبة الإجابة على هذه الأسئلة حيث أن أدوات العصر الحجري السفلي المعروفة في الجزيرة العربية جميعها لقى سطحية باستثناء تلك التي اكتشفت في كهف الجوزه، ولم يتم بعد العثور على أية مخلفات بشرية، كما أنه لا توجد بعد أية تواريخ بالنظائر المشعة للأدوات العربية.

شرح الباحثان بعد ذلك منهجية الدراسة، حيث استخدما الأساليب الإحصائية بمقارنة تواتر (أو تكرار) الأدوات مع أبعادها (قياساتها) لتقييم العلاقة المحتملة بين المواقع، إذ ينتج تواتر الأدوات في الغالب عن نشاطات وظيفية في بيئة معينة، كما قد تعتمد أبعاد الأدوات على المواد الخام المتوفرة إضافة إلى التقاليد الثقافية السائدة. واستخدم الباحثان أسلوبين إحصائيين بسبب اختلاف القواعد المعلوماتية المتوفرة من الجزيرة العربية ومضيق أولدوفاي، واختارا تحليل الاختلاف أو التغير (Analysis of Variance - ANOVA) باستخدام أبعاد الأدوات لفحص العلاقة بين موقعي المسح العربيين وموقع كهف الجوزه، بينما قاما بتطبيق أسلوب القياس متعدد الجوانب (Multidimensional Scaling - MDS) باستخدام تواتر الأدوات للمقارنة بين المواقع العربية والإفريقية، وللحصول على تجمعات إحصائية ذات مغزى، أضاف الباحثان للمقارنة الثانية بيانات عن أدوات من مواقع أفريقية وعربية أخرى، من ضمنها عدد من المواقع السعودية وموقع وادي السرحان في الأردن والعبيدية في فلسطين.

في شرحهما لنتائج التحاليل الإحصائية، أظهر الباحثان التشابه بين المواقع العربية الثلاثة من جهة، وتشابهها مع المواقع الأولدوانية من مضيق أولدوفاي (في مجموعة ضمت أيضاً عينات وادي السرحان)، بينما خرجت كافة المواقع الأشولية بما فيها العبيدية إضافة إلى الأولدوانية المتطورة من مضيق أولدوفاي خارج تلك المجموعة.

في النتيجة، نبه الباحثان على أنه ليس بالإمكان الخروج بنتائج مؤكدة في غياب التأريخ بالنظائر المشعة، إلا أن تشابه اللقى السطحية بتلك المستخرجة من التنقيب في كهف الجوزه يرجح احتمال استسقاء معلومات هامة من المواقع السطحية، كما أنه يمكننا ربط المواقع العربية بالأولدوانية من مضيق أولدوفاي والتي أرخت إلى ١,٨ مليون عام. ودعا الباحثان إلى المزيد من المسح والتنقيب على طول الطرق المقترحة للهجرات البشرية القديمة، حيث تشير كافة الدلائل إلى انتشار المواقع الأولدوانية في الجزيرة العربية على طول مسارات هجرات وأماكن سكن المجموعات البشرية القديمة، وقد نجد في هذه المواقع مفتاح الحل لمعرفة زمان ومكان أقدم الهجرات البشرية إلى آسيا.

آخر المقالات في العدد للزميل المرحوم تيسير عطيات الذي غادرنا بعد نشر مقالته ببضعة أشهر، وربما كانت هذه آخر مقالاته التي قدر له أن يراها قبل وفاته رحمه الله. المقالة بعنوان **"صور معاصر النبيذ على الأرصفة الفسيفسائية في الأردن، وفلسطين، ولبنان"** (Wine Presses on Mosaic Pavements of Jordan, Palestine and Lebanon). ابتدأ الباحث مقالته بالحديث عن الأردن خلال الفترة البيزنطية وازدهار شعبها العربي وانتشار الكنائس فيها، واعتبر الأرضيات الفسيفسائية أكثر ما يبهر الإنسان في كنائس حوض المتوسط، كما اعتبرها مصدراً هاماً للمعلومات حول الحياة الريفية والحضرية، والإدارة الدينية في الأردن خلال الفترة البيزنطية. عرّف الباحث هدف مقالته بإلقاء الضوء على الميزات الزراعية في الأردن في الفترة ما بين القرن السادس والسابع للميلاد وذلك عبر تصاوير مختارة لمعاصر النبيذ على الأرضيات الفسيفسائية، وإظهار العلاقة بين بناء معاصر النبيذ وتصاويرها، ومحاولة فهم تقنية عصر النبيذ وأهميته في الطقوس المسيحية.

بعد المقدمة، انتقل الباحث إلى الحديث عن كرمة العنب وشهرة بلاد الشام بجودة النبيذ وكثرته، فذكر المصادر المصرية القديمة والعهدين القديم والجديد، مركزاً على أهميته الدينية، أما الأرضيات الفسيفسائية فعادة ما تصور دورة حصاد العنب بالتسلسل التالي: ١- قاطف الثمار وهو يقطع القطوف بمنجل قصير، وبجانبه سلة؛ ٢- سلة مليئة بالعنب؛ ٣- نقل العنب على ظهر حمار أو ظهر رجل؛ ٤- رجال يدوسون العنب في المعصرة؛ ٥- وفي العادة تكون هذه الدورة مصحوبة بعازف ناي، وبالإمكان مشاهدتها في كنيسة القديسين لوط وبروكوبيوس في المخيط على سبيل المثال. كما يمكن أن تكون هنالك تفاصيل أخرى في صورة المعصرة مثل عمود مكبس العصر بأخاديده اللولبية الحادة كما في كنيسة الأسقف سيرجيوس، وحوض تجميع العصير في كنيسة القديس إسطفان في أم الرصاص. وفي أحيان عدة صورت مظاهر الحياة اليومية ضمن صفوف من أغصان الكرمة الدائرية، حيث انتشرت زخرفة الكرمة في بلاد الشام خلال الفترة ما بين القرن الرابع والسابع الميلاديين ويعتقد الباحث بأن لهذا علاقة بأهمية العنب والنبيذ في الطقوس المسيحية.

بالنسبة لإنتاج النبيذ في الأردن وفلسطين، رجع بنا الباحث للعصر البرونزي ثم المؤرخ الروماني بليني، وأفادنا بمعلومات حول أرض الأردن وشعبها خلال الفترة البيزنطية، حيث اعتبر انتشار معاصر العنب والزيتون الصغيرة على الهضبة الجبلية في الجهة الغربية دليلاً على شح الأرض التي كان بالإمكان استغلالها للزراعة، وذكرت كل من واطسون وأوهي أن أحجام وتوزيع المعاصر تشير إلى أنها كانت للاستعمال المحلي وليست للتجارة. وكانت معاصر النبيذ في فلسطين أكبر من مثيلاتها في الأردن، ربما لأن كميات العنب كانت أكثر وعدد السكان أكبر، إلا أن المراكز السكنية على الهضبة الأردنية كانت تعتمد في اقتصادها على الزراعة وتصنيع المنتجات الزراعية، خاصة النبيذ وزيت الزيتون. وعرض الباحث تصنيف واطسون لمعاصر النبيذ المتشابهة في عناصرها في الأردن وفلسطين، وشدد الباحث على ترجيح كون النبيذ الأحمر رمزاً دينياً مسيحياً مستشهداً بمقطع من إنجيل متّا ورد فيه على لسان السيد المسيح أن الخبز هو جسده والنبيذ دمه.

كانت المعصرة ذات العمود اللولبي الثابت الطراز الرئيس في الأردن والبلدان المحيطة، حيث ظهرت على ست أرضيات فسيفسائية من الأردن وفلسطين ولبنان، أظهر الباحث رسوم بعضها في لوحة واستطرد بالحديث عن اختلاف التفاصيل والعناصر فيها، واستنتج أن عصر العنب كان يتبع دوسه كما ورد في المصادر الكلاسيكية، ورجح مرة أخرى كون زخارف الكرمة رمزاً دينياً مسيحياً يؤكد العلاقة بين الكنيسة والمسيح بسبب التشبيه السابق الذكر. انتقل الباحث فيما بعد لزخارف

كرمة العنب على الأسرجة الفخارية البيزنطية والإسلامية المبكرة، وأكد أن أغصان الكرمة المنبعثة من الجرار هي التفسير العملي النهائي لدورة حصاد النبيذ.

في الاستنتاج، قام الباحث بتلخيص ما ورد في مقالته وأهمية الأرضيات الفسيفسائية في الأردن لفهم الفن والمجتمع والديانة المسيحية خلال الفترتين البيزنطية والإسلامية المبكرة، وتشابه عناصر معاصر النبيذ وحتى لباس دوّاسي العنب الذي يعكس تشابه أو اختلاف التقاليد، وبأن صانعو الفسيفساء قد أخذوا الواقع في حسبانهم بحيث صوروا الحصاد الحقيقي وليس حصاداً مثالياً، كما أكد أنهم صوروا الحقيقة في اللون حيث أن النبيذ الأحمر في كنيسة القديس إسطفان في أم الرصاص هو إشارة أكيدة لدم المسيح حين ضحى بنفسه لخلاص قومه.

وأختتم الجزء الإنجليزي من العدد بعرض زيدان كفافي لكتاب "**الإسرائيليون**" (The Israelites) من تأليف B. S. J. Isserlin.

خيرية عمرو
المتحف الوطني الأردني
عمّان ـ الأردن
البريد الألكتروني: opnm@go.com.jo